

---

5

مقابلة الأولاد

---



# 5

## مقابلة الأولاد

رغبتُ مقابلة الأولاد. كنت أستمع طيلة الوقت إلى قصصهم، وأتحدث عنهم، وأفكر بهم، ورغبت الآن في مقابلتهم بنفسي. سألت الوالدين عن رأيهم في تخصيص بضع جلسات مع أولادهم: واحدة للتعرف عليهم، وأخرى لتعليمهم بعض مهارات التواصل الأساسية، وثالثة نلتقي خلالها جميعاً.

جاء رد الحاضرين فوراً: "سيكون ذلك رائعاً!..." فكرة عظيمة!..." لا أعلم إن استطعت إقناعها بالمجيء، ولكنني سأبذل قصارى جهدي"... "أخبريني عن الموعد فحسب، وسيكون الولد هنا". حددنا ثلاثة مواعيد.

بدأت، فور دخول الأولاد الغرفة، في الربط بينهم وبين الوالدين، لمعرفة من ينتمي إلى من. هل كان النحيل الطويل هو بول، نجل توني، بالنظر إلى أنه يشبهه نوعاً ما؟ هل كانت ذات الابتسامة الودودة كيلبي، ابنة لورا؟ ولكنني فكرت قائلة لنفسني فيما

بعد: "لا، توقضي عن ذلك. عليك أن تتعرفي إلى هؤلاء الفتيان بصفتهن أفراداً مستقلين، لا امتدادات لآبائهم أو أمهاتهم".

خاطبت الحاضرين الجدد، حين جلسوا جميعاً في مقاعدهم، قائلة: "أدرّسُ - كما أخبركم والدوكم على الأرجح - طرق التواصل التي تساعد الناس، من جميع الأعمار، على الانسجام بصورة أكبر مع بعضهم، ولكنكم تدركون أن "الانسجام بصورة أكبر" ليس سهل المنال دائماً. يعني ذلك ضرورة امتلاكنا القدرة على الإصغاء لبعضنا، وبدلنا قدرأً من الجهد، على أقل تقدير، لفهم وجهة نظر الطرف الآخر".

"يفهم والودون، بكل تأكيد، وجهة النظر الخاصة بهم، ولكنني أعتقد أن العديد منهم، بمن فيهم أنا، يفتقدون إلى فهم أعمق لوجهات نظر الجيل الأصغر، الذي تنتمون إليه بالطبع. أمل اليوم أن أتوصل إلى إدراك أكبر لأي مما يمكن اعتباره صحيحاً في نظركم، أو نظر أصدقائكم".

ابتسم الولد الشبيه بتوني، قائلاً: "حسناً، ما الذي تودين معرفته؟". سليني فحسب لأنني الخبير".

ضحك أحدهم بصوت مكبوت، قائلاً: "نعم، خبير بالطبع، ولكن بماذا؟".

عقبتُ، بينما كنت أسلمهم الأسئلة التي أعددتها، قائلة: "سنكتشف ذلك قريباً. أرجو أن تطلعوا على هذه الأسئلة، وتجيّبوا عما تستطيعون منها، كي نتحدث فيما بعد".

ارتفعت إحدى الأيدي.

سألت صاحبها قائلة: "ماذا؟".

أجابني متسائلاً: "من سيطلع على إجاباتنا؟".

أجبتة قائلة: "أنا فحسب. لا داعي لوضع أسمائكم على الورقة. لن يعلم أحد بمصدر الإجابات. كل ما يهمني هو الحصول على الصريح منها".

لم أكن واثقة من رغبتهم في الكتابة بعد يوم دراسي طويل، ولكنهم فعلوا: درسوا كل سؤال، حدقوا في النافذة، انكبوا على أوراقهم، ثم كتبوا بجهد، وإن كان على عجل. راجعنا لائحة الأسئلة معاً، حين انتهى الجميع من الكتابة، ثم ناقشنا كلا منها على حدة. قرأ معظم الأولاد أجوبتهم بصوت مرتفع، بينما شارك الآخرون بآرائهم بصورة عفوية، في حين فضل البعض الاستماع بهدوء، وتقديم أجوبتهم كتابياً. هاكم أبرز ما جاء في أجوبتهم:

ما الذي يعنيه الناس، باعتقادك، حين يعقبون قائلين: "آه حسناً، إنه مراهق"؟

"أنا غير ناضجين، ونشكل مصدراً للإزعاج، ولكنني لا أتفق مع هذا. يمكن لأي كان التصرف بهذه الطريقة، مهما بلغ من العمر".

"أن جميع المراهقين مزعجين، ويثيرون المشكلات، ولكن هذه الفكرة خاطئة، وتحط من قدرنا. لا يوجد نمط واحد من المراهقين. إننا جميعاً نختلف عن بعضنا.

"يقال على الدوام: "يجدر بك أن تعرف أكثر"، أو "تصرف وفق سنك"، وهذا هو بالفعل سننا الذي نتصرف وفقه".

"يمثل تسخيف الكبار من قدراتنا أمرا مهينا ينتقص من قدرنا".

"يظنون أنهم يعرفوننا، ويقولون باستمرار: "تعرضنا للمشكلات ذاتها حين كنا صغارا"، ولكنهم لا يدركون أن الزمن قد تغير، والمشكلات كذلك".

ما أفضل ما يمثل كونك، أو أصدقاؤك، في هذه السن من وجهة نظرك؟

"الحصول على امتيازات أكبر. التقيد بحدود أقل".

"المرح، وفعل كل ما أريد".

"مصادقة الفتیان".

"البقاء خارج المنزل لوقت أكثر تأخرا في عطل نهاية الأسبوع، والذهاب إلى مركز التسوق برفقة أصدقائي".

"التمتع بالحياة بعيدا عن المسؤوليات التي أعرف أنني سأضطر إلى توليها لاحقا".

"الدنو من السن التي تؤهني لقيادة السيارات".

"حرية التجريب، مع الأمان والحب العائليين اللذين يمكنك اللجوء إليهما عند اقتراف خطأ ما".

ما بعض الأمور التي تثير قلق الأولاد في سنك؟

"عدم التأقلم مع محيطي".

"الرفض اجتماعيا".

"فقدان الأصدقاء".

"يقلق الأولاد من آراء الآخرين فيهم".

"تقلق بسبب مظهرنا، وملبسننا، ونمط شعرنا، وأحذيتنا،

ونوعية مقتنياتنا".

"يتعين على الفتيات أن يكن رشيقات وجميلات. يتعين على

الفتيان أن يكونوا ظرفاء، وذوي أجساد رياضية".

"تقلق من التنافس الدراسي، وضرورة إنجاز الكثير من

الفروض المدرسية كل ليلة، واجتياز كل اختباراتنا بنجاح".

"الحصول على درجات دراسية عالية، وتأمين مستقبلنا".

"أقلق بسبب المخدرات، والعنف، والإرهابيين الذين يهاجموننا،

وما إلى ذلك".

"أقلق من إطلاق النار في المدارس، ومقتل العديد جراء ذلك.

يسهل اقتناء الأسلحة النارية كثيرا".

"يتعرض المراهقون لكثير من الضغوط التي ربما كانت تفوق ما

يتعرض له والدوهم منها. يمكن للأخيرة أن يقولوا ما يشاؤون لنا،

ولكن لا مجال لأن نقول لهم ما نشاء".

هل يقول والداك أو يفعلان ما يمكن أن يفيدك؟

"يناقش والداي الأمور معي، ونحاول الخروج بالحلول معاً".

"تعلم أمي حين يكون مزاجي سيئاً، فتدعني وشأني عندئذ".

"تخبرني أمي على الدوام أن مظهري جيد، حتى لو لم يكن

كذلك حقاً".

"يساعدني أبي في إنجاز فروضي المدرسية إن لم أفهمها".

"أخبرني أبي، ذات مرة، عن إحدى المشكلات التي تعرض لها

حين كان صغيراً. منحني ذلك شعوراً أفضل حين كنت أتعرض

لمشكلة ما".

"تحدثني أمي حول ما يجب أن أقوله إن طلب مني تعاطي

المخدرات".

"يقول لي والداي دوماً: "حدد هدفاً أو غاية في حياتك.

سببتيك امتلاك أي منهما في المسار الصحيح".

هل يقول والداك أو يفعلان ما لا يمكن أن يفيدك؟

"يلوماني على أمور غير حقيقية، ويردان علي، حين أخبرهما

عما يثير غضبي من الأمور، قائلين: (استرح قليلاً)، أو (انس

الأمر). يزعجني ذلك كثيراً".

"أكره قولهما إنني أمتلك موقفاً سلبياً من هذا الأمر أو ذلك،

بالنظر إلى أن الأطفال لا يأتون إلى هذا العالم بمواقف سلبية

مسبقة. لا يمثل الأمر حقيقتك من الداخل، ويمكن أن يعزى الخطأ، في بعض الأحيان، إلى الوالدين حين يرسون مثلاً سيئاً لأولادهم".

"ينتقد والداي عاداتي الدراسية، ما يعتبر ظملاً في نظري، لأنني أبلي بلاء حسناً في المدرسة".

"أكره صياح والدي في وجهي".

"يعمل والداي بكد، ولا يتوفر الوقت الكافي على الإطلاق للتحدث إليهما حول شؤون الحياة اليومية".

"لا يجدر بالوالدين انتقاد أولادهم على الدوام، وتصحيحهم في كل ما يفعلون. أنشئ أخي على ذلك، ولديه مشكلة حقيقة الآن مع السلطوية. لقد ترك كل وظائفه لعدم قدرته على التعامل مع تلك المسألة. ينطبق الأمر عليّ كذلك. لا أطيق الاستماع إلى أي تصحيح لأفعالي. أكره ذلك كثيراً".

ما النصح الذي يمكن أن تقدمه لوالديك، لو أتيح لك ذلك؟

"لا تقل لي: (بإمكانك التحدث إلي عما شئت)، كي تغضب فيما بعد، وتلقي المحاضرات على مسامعي حين أفعل".

"لا تسلني: (هل ما زلت تتحدث على الهاتف؟)، أو (هل تأكل مجددا؟)، حين تراني أقوم بذلك".

"لا تنهونا عن أمر وتأتون مثله، كالشرب أو تدخين السجائر".

"إن أتيت إلى المنزل بمزاج سيئ، فاترك مشكلاتك خارجه، ولا تصب جام غضبك، أو تتحو باللائمة علينا".

"لا يجدر بالوالدين التصرف بلطف في الخارج، ثم الإساءة إليك، وضربك، والانتقاص من قدرك في المنزل. إن تصرف الأولاد بصورة سيئة، فقد يعود ذلك إلى ما يحصل معهم في بيوتهم. يتعين على الوالدين، بالتالي، أن يحاولوا كبح أنفسهم، إن شعروا بالإحباط، وأرادوا التفوه بأقسى العبارات".

"يجدر بالوالدين الإيمان بنا. لا يعني ارتكابنا الأخطاء أننا أناس سيئون".

"لا تنتقدوا أصدقاءنا لأنكم لا تعرفونهم حقاً".

"لا تشعرونا بالذنب إن تسكعنا مع أصدقائنا في الخارج أكثر من البقاء مع العائلة".

"إن أردتم أن يخبركم أولادكم بالحقيقة، فلا تعاقبوهم على كل شاردة وواردة".

"أخبروا أولادكم، وإن لم يعودوا صغاراً، بمحبتكم لهم".

"إن وجدت طريقة لترك أولادكم يختبرون الحياة، دون التعرض إلى مخاطرها، فاتبعوا تلك الطريقة لأن ذلك هو ما نحتاجه".

ما النصح الذي يمكن أن تقدمه للمراهقين الآخرين، لو أتيت

لك ذلك؟

"لا تقوموا بأمر غبية، كتعاطي المخدرات، لمجرد الفوز بمحبة الأولاد الآخرين".

"كن ودودا مع الجميع، بمن فيهم مفتقدو الشعبية من الأولاد".

"لا تشارك الأولاد الآخرين حين يضايقون أحدهم".

"لا تعرض الأولاد الآخرين للمشكلات عبر التشهير بهم في الإنترنت".

"طور صداقات حقيقية ومثمرة، حتى يقف أصدقاؤك إلى جانبك في الأوقات الصعبة".

"عد إلى المنزل في الوقت المحدد، إن أردت أن يمدده والداك".

"إن قال صديقك إنه سيتركك إن لم تمارسي الجنس معه، فيجدر بك تركه".

"لا تظني أن الأمر ينتهي بمجرد تدخينك بضع سجائر لفترة من الزمن. لقد بدأت صديقتي التدخين بتلك الطريقة، وها هي الآن تدخن علبة كاملة في اليوم الواحد".

"اعلم أن الشرب وتعاطي المخدرات يضر بصحتك، ويدمر مستقبلك. يقول بعض الأولاد: "لا يهمني. إنه جسدي، وسأفعل به

ما يحلو لي"، ولكنهم مخطئون في ذلك، لأن الضرر لن يقتصر عليهم وحدهم. سيحبط كل من يهتمون لأمرهم، وسيتألمون لأجلهم".

ما الذي تتمنى تغييره في حياتك: في البيت، والمدرسة، أو مع

أصدقائك؟

"أتمنى أن يدرك والداي أنني لم أعد طفلاً صغيراً، ويسمحوا لي بفعل قدر أكبر من الأشياء، والذهاب إلى المدينة بصحبة أصدقائي".

"أتمنى أن يخفف أساتذتي من الفروض المدرسية، ويتساهلوا بشأنها. يتصرف كل منهم وكأننا لا ندرس سوى مادته. نضطر إلى البقاء حتى وقت متأخر في الليل كي ننجز فروضهم. لا عجب أننا نشعر بالتعب خلال الحصص".

"أتمنى لو لم يكن جدولتي ممتلئاً بالدراسة، وتلقي دروس الموسيقى، كي أحصل على وقت فراغ أكبر للتسكع مع رفاقي".

"أتمنى ألا يعاملني الأولاد بلطف في حضرتي، ثم يتحدثون عني بالسوء في غيابي".

"أتمنى لو يتفق أصدقائي كافة، ولا يضطروني إلى التحزب".

"أتمنى ألا يحكم الناس علي من خلال مظهري أو ملبسي. أحب التحدث على الإنترنت لهذا السبب، حيث لا يقدم مظهري أو يؤخر".

"أتمنى ألا تتشاجر الفتيات حول أمور سخيفة مثل: "رأيتك مع فتاي". لا يحل الشجار شيئاً، ولا ينتهي الأمر بك سوى مفصلاً من المدرسة، حيث يعاقبك والداك بما هو أكثر".

"أتمنى ألا يضغط الوالدون على أولادهم كي يبلغوا مرحلة الكمال. يتمثل ما أعنيه في أننا نعيش الحياة مرة واحدة، فلم لا نحياها بشكل طبيعي، ونستمتع بفترة مراهقتنا؟ لم ينبغي علينا الإلتقان والنجاح طيلة الوقت؟ نعم، نملك أهدافاً وطموحات، ولكن ألا يمكننا بلوغها دون كل هذه الضغوط؟".

نظر الجميع إلي بترقب، بعد إجابة السؤال الأخير. خاطبتهم قائلة: "هل تعلمون ما أتمنى؟، لو تمكن جميع الوالدين والمراهقين من الاستماع إلى ما قلتموه في هذه الأمسية لما يطرحه من آراء مهمة يمكن أن تفيدهم كثيراً".

بدا الأولاد مسرورين بتعقيبي. سألتهم قائلة: "هل يوجد، قبل أن نغادر، ما لم نتحدث عنه مما تعتقدون وجوب علم الوالدين به؟".

ارتفعت إحدى الأيدي بتردد، ثم أنزلت، ثم ارتفعت ثانية. كان صاحبها الولد الشبيه بتوني. أجابني قائلاً: "نعم. أخبريهم أن صوتنا ارتفع بالصراخ في بعض الأحيان، وأنا قلنا ما يمكن أن يثير استياءهم، وأنه لا يجدر بهم اعتبار ذلك موجهاً إليهم بشكل شخصي لأننا لا نعني ما نقوله في كثير من الأوقات".

عقبت صاحبة الابتساماة الشبيهة بلورا، قائلة: "هذا صحيح. أخبريهم كذلك ألا يصابوا بالجنون حين لا ننظف غرفنا، أو نساعدهم فيما يطلبون. لا يعود السبب في ذلك إلى أننا أولاد مدللون، بل لشعورنا، في بعض الأوقات، بالتعب، أو انشغالنا بأمور أخرى، أو حاجتنا إلى التحدث مع أصدقائنا".

عقبت فتاة أخرى، تأييدا لما سمعته في التو، قائلة: "نعم. سليهم أيضا عن ماهية شعورهم لو خاطبناهم، ما إن يصلوا المنزل من عملهم، قائلين: "تركتم أطباقكم القذرة في الحوض مجدداً"، أو "نريد أن تعدوا طعام العشاء فوراً"، أو "لا يمكنكم مشاهدة التلفاز حتى تدفعوا فواتيركم كافة!".

ضحك الحاضرون.

أضافت الفتاة قائلة: "لم تعد أُمي تصرخ، في الحقيقة، كما كانت في السابق منذ أن بدأت في حضور دروسك. لا أعلم ما تتعلمه منها، ولكنها لم تعد بذلك الغضب والاندفاع بعد تلقيها".

عقبتُ قائلة: "يتمثل ما تتعلمه أمك، وبقية الوالدين الآخرين، في مهارات التواصل ذاتها التي أتطلع إلى تلقينكم إياها الأسبوع المقبل. سنسبر غور الأفكار التي يمكن أن تساعد الناس في الانسجام بصورة أكبر مع بعضهم، أيًا كانت العلاقات التي ينخرطون بها".

تساءلت إحدى الفتيات قائلة: "أياً كانت؟ هل يشمل ذلك علاقتنا مع أصدقائنا أيضاً؟".

أكدتُ لها قائلة: "مع أصدقائكم أيضاً". توقفت، مع ذلك، عند طريقتها في طرح السؤال لأنني لم أكن أنوي التركيز على العلاقة مع الأصدقاء في الجلسة المقبلة، ولكن خطر لي فجأة أنه ربما كان علي القيام بذلك، استناداً إلى ما سمعته من تعقيبات الأولاد اليوم حول أهمية صداقاتهم. لقد أوصلني ذلك إلى إدراك جديد لحجم العواطف التي يوظفونها في علاقاتهم مع أقرانهم.

سألتُ المجموعة قائلة: "ما الذي ستشعرونه حيال استغلال جلستنا المقبلة للنظر في كيفية تطبيق هذه المهارات الجديدة على علاقاتكم مع أصدقائكم؟".

لم يجب أحد على الفور. نظر الأولاد إلى بعضهم، ثم إلي. تحدث أحدهم، في النهاية، قائلاً: "سيكون أمراً لطيفاً". أوماً الجميع برؤوسهم موافقين.

خاطبتهم قائلة: "سنفعل ذلك إذأ. أراكم الأسبوع المقبل".

